أرض النار

محمود سالم

أرض النار

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

أرض النار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٧٩١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أرض النَّار!	١١
نهر النيل ... وجبال الأنديز!	١٧
الطيران ... بلا أجنحة!	٢١
انفجار ... تحت الماء!	٢٥
داخل عرين الأسد!	٢٩
مفاجأة ... غير متوقعة بالمرة!	٣٣
الموت ... حرقًا!	٣٩
التحذير الأخير!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أرض النَّار!

استقر الشياطين الـ «١٣» فوق مقاعدهم في قاعة الاجتماعات بالمقر السرِّي، وكانت المغامرة الأولى «مغامرة في الفضاء» ... قد انتهت منذ أيامٍ قليلة بنجاحٍ باهر. عندما تمكن فريق من الشياطين بقيادة «أحمد» من تدمير قمر صناعي مُعادٍ، كان مخصصًا للتجسس على الدول العربية ومقر الشياطين، ثم التحموا في معركة بالفضاء الخارجي ضد مكوك فضائي مُعادٍ، واستطاعوا نسفه، قبل أن يعودوا إلى الأرض بالمكوك الفضائي العربي الجديد، لِيُكَلِّلُوا مهمتهم بنجاحٍ باهر، وليثبتوا أنَّهم ليسوا شياطين فوق الأرض فقط، بل وفي الفضاء أيضًا.

ومرَّت لحظات قصيرة من الصمت، ثم وضحت خطوات رقم «صفر»، وهو يتجه نحو مقعده في صدر القائمة، والتمعت ابتسامة عريضة فوق وجهه، وقال: مرحبًا بكم أيُّها الأبطال. كانت الأيام القليلة الماضية بعد انتهاء مغامرتكم الأخيرة، أيامًا حافلة بالسعادة والفخر، فلقد وصلتني العديد من برقيات التهنئة والشكر من كل الدول العربية؛ تقديرًا لما بذلتموه من مجهود رائع يكاد يقترب من العمل الإعجازي. وأمامي في نفس الوقت عدة تقارير سرية، استطعنا التقاطها بواسطة عملائنا لعدد من أجهزة المخابرات الأجنبية، وكلها تتحدث بلغة أقرب إلى الذهول، ولا تصدق أنَّ مجموعة عربية من الأبطال استطاعوا اختراق الفضاء وتدمير المكوك الذي كان يعتبر قلعة فضائية حصينة، وأهنئكم مرة أخرى.

التمعت أعين الشياطين ببريق السعادة لإطراء رقم «صفر» وتهنئته، وأخذ رقم «صفر» يقلب في عدَّة أوراق أمامه، ثم قال: لا بد أنكم تتوقعون أن يكون هناك جزء آخر لمغامرتكم الفضائية الأولى، وهذا صحيح تمامًا. فإذا كنا قد دمرنا القمر الصناعي التجسسي والمكوك الذي أُطلق في الفضاء، فإنَّ رأس الأفعى لا تزال حيَّة، وبإمكانها إطلاق المزيد من الأقمار الصناعية التجسسية في القريب العاجل، وربما خلال الأيام القليلة القادمة.

تساءل «عثمان» بدهشة: هل يستعد الأعداء لإطلاق قمر صناعي تجسسي آخر؟

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا يا «عثمان» ... ويبدو أنَّهم يريدون التحدي إلى النهاية ... وربما يجهزون لنا هذه المرة شرَكًا خداعيًّا في الفضاء، إذا ما حاولنا اصطياد قمرهم الصناعي في مداره حول الأرض، ولكنَّنا هذه المرة لن نتصدى لهم في الفضاء بل فوق الأرض ...

أحمد: تقصد قاعدة إطلاق المكوك الأرضية؟

رقم «صفر»: بالضبط ... هذا ما قصدته تمامًا برأس الأفعى، فطالما هذه القاعدة موجودة، فسيتمكن الأعداء من إطلاق المزيد والمزيد من أقمارهم الصناعية التجسسية ... ومن هنا لا بد من تدمير تلك القاعدة، بأي ثمن.

وضغط رقم «صفر» زرًّا أمامه، فظهرت خريطة مضاءة لقارة أمريكا الجنوبية ... وبدأت الخريطة تتسع وتكبر لتظهر عليها تفاصيل «شيلي» المطلة على المحيط الهادي في الجنوب الشرقي للقارة.

وجاء صوت رقم «صفر» يقول: هذه هي «شيلي» ... وهي كما تعرفون تحتل مساحة حوالي ٦٠٪ من ساحل أمريكا الجنوبية، ويبلغ طولها ٥٠٠ كم، أما عرضها فلا يزيد عن ٤٠٠ كم. فهي بلاد ساحليَّة، تكثر فيها الجزر والأرخبيلات والشلالات أيضًا ... ويتألف سطحها من سلسلة جبال، الأولى في الشرق وتسمى «الأنديز» و«العليا»، وبها عدة براكين حيَّة ترتفع في بعض القمم إلى ما يصل لـ ٦٧٠٠ متر، وفي أقصى الجنوب الشمالي تقع منطقة مضيق ماجيلان ... أو أرض النَّار كما يسمونها.

قالت «إلهام»: ولا بد أنَّ مغامرتنا القادمة ستدور فوق أرض النَّار ... أليس كذلك؟

رقم «صفر»: هذا صحيح يا «إلهام» ... ولا بد أنَّكِ أدركتِ العلاقة بين تلك التسمية لأرض البراكين في جنوب شيلي، وبين قاعدة إطلاق الصواريخ والمكوكات الفضائية. وفي الحقيقة فلا بدَّ لنا أن نعترف ببراعة الأعداء في اختيار هذا المكان النائي المخيف لإقامة قاعدتهم، فالقاعدة محاطة ببراكين حيَّة تصب حممها في كل لحظة، وبذلك يصعب إن لم يكن مستحيلًا على أي إنسان الوصول إليها، بل إنَّ القاعدة نفسها مبنية فوق سطح بركان خامد، وهذا يمثل أفضل ستار لعمل القاعدة، فأنتم تعرفون أنَّه عندما يتم إطلاق أي صاروخ للفضاء الخارجي تقوم الأقمار الصناعية التجسسية بالتقاط ذلك الإطلاق مهتدية بالحرارة الكبيرة التي تصدر عن الصاروخ الفضائي أو المكوك ... ومِن ثَم، فإنَّ مثل هذا الإطلاق لا يمكن إخفاؤه أبدًا ... أما عندما يحاط الإطلاق بمصدر حراري عالٍ

طبيعي مثل البراكين المشتعلة، فهذا سيُخفي عملية الإطلاق، وربما تظنُّ أقمار التجسس أنَّ الحرارة الناتجة من إطلاق المكوك أو الصاروخ الفضائي، هي ناتج الاشتعال لأحد البراكين وتفجره.

زبيدة: فكرة رائعة.

ردَّ رقم «صفر»: وقد كلفنا البحث عن هذه القاعدة وقتًا طويلًا قبل أن نتمكن من الاهتداء إليها ... فهي تقع بالقرب من مدينة «بونتا ريناس»، في أقصى الجنوب لشيلي في حزام المنطقة المسماة بحزام «أرض النَّار» ...

عثمان: وهل تعلم حكومة «شيلي» شيئًا عن هذه القاعدة؟

أجاب رقم «صفر»: إنَّ المعلومات المتوفرة لدينا حتى الآن تقطع بعدم وجود أيَّة صلة بين حكومة «شيلي» وبين أصحاب تلك القاعدة، وفي الحقيقة فإنَّ أعداءنا استغلوا طبيعة الأرض في تلك المنطقة، وأرسلوا عددًا من علمائهم بدعوى دراسة المنطقة والبراكين وإنشاء محطة إنذار مبكر لهذه البراكين قبل انفجارها، ولكنَّهم قاموا ببناء قاعدة لإطلاق الصواريخ الفضائية والمكوكات في نفس المكان. أما مسألة أرض البراكين ودراسة طبيعة الأرض؛ فهي لا تحتل إلا جزءًا يسيرًا من نشاط القاعدة، وللتمويه فقط ... إننا نتعامل هذه المرة مع أعداء على قدر كبير من الذكاء والحيطة، ولديهم أيضًا إمكانيات تكنولوجية وعلمية هائلة. واختفت خريطة «شيلي» من فوق الشاشة، وظهر مكانها عدد من قمم البراكين المتفجرة، التي يتصاعد اللهب وألسنة النيران من فوهتها، على حين كان يسيل من بعضها الآخر حِمم مصهورة في شكل سائل ملتهب اللون ... وأخذت الكاميرا تقترب من منطقة نائية عالية على شكل سطح جبل عريض ... وبدأت الصورة تتضح أكثر وتظهر تفاصيلها بشيء من الوضوح ... فقد كان هناك عدد من المباني الصغيرة التي ظهرت، وكأنَّها منحوتة من سطح الجبل بسبب لونها الأصفر القريب من لون الجبل نفسه، وكان هناك سور من الصخر يحيط بالمكان، وقد ظهرت سحب سوداء كثيفة من الدخان الناتج من نشاط البراكين القريبة.

وقال رقم «صفر» شارحًا: هذه القاعدة التي أقامها العدو ... أو بمعنى أدق سطح القاعدة، فهذه الأبنية القليلة البريئة المظهر مخصصة بالفعل لرصد البراكين القريبة ... أما القاعدة الحقيقية لإطلاق الصواريخ والمكوكات؛ فهي تقع أسفل ذلك المكان ... في قلب الجبل نفسه، وحتى لا يمكن لأيِّ إنسان التقاط صورة لها أو معرفة تفاصيلها ... وللأسف فإننا لا نملك أيَّة معلومات عن قلب هذا الجبل وما يحتويه، بسبب وعورة المكان وتحصيناته

الإلكترونية الهائلة، وكل ما استطعنا الحصول عليه هو هذه الصور القليلة لسطح الجبل، وتم التقاطها من الجو في طائرة شراعية ... وقد دفعنا ثمنًا لها اثنين من أفضل رجالنا.

وصمت رقم «صفر»، ورانَ السكون على القاعدة، وسأله «عثمان» بصوته الغاضب قائلًا: على أيِّ حال؛ فنحن لسنا بحاجة لمعرفة تفاصيل تلك القاعدة، لأنَّها بعد أيام قليلة لن يكون لها وجود في عالمنا.

ابتسم الشياطين لعبارة «عثمان». وأكمل رقم «صفر» بإعجاب: هذه هي الروح التي أريدها أن تسيطر عليكم في مهمتكم القادمة ... ولقد أرسلنا عدة استفسارات للقسم العلمي الخاص بالشياطين عن الإمكانات المحتملة لتلك القاعدة حسب نشاطها الظاهر لنا، فجاءت الإجابة أنَّ المكان بسبب طبيعته المنحوتة داخل الجبل نفسه لن تزيد مساحته عن دائرة قطرها كيلومتر أو أكثر قليلًا، وهو في الغالب ينقسم إلى ثلاثة أجزاء؛ أولها: خاص بالأبحاث والتجارب، والثاني: خاص بإطلاق الصواريخ أو المكوك الفضائي ومنصة الإطلاق، والثالث: خاص بالرصد والمتابعة ... هذا طبعًا غير أماكن إقامة العاملين في المكان، ومحطة توليد الكهرباء التي تمده بالطاقة والماء ... أما رادارات التقاط الرسائل الفضائية؛ فهي تقع فوق سطح الجبل بلا شك ... ويمكنكم أن تعتبروها نقطة بداية لكم ... وحسب الافتراضات العلمية، فلا بد أن يوجد ليس أقل من مائة عالم وفني لإدارة المكان ... وحسب الافتراضات الأمنية، فلا بد أن يحرسه عدد مماثل من رجال الأمن ...

أحمد: وكيف يمكن الوصول إلى هذا الجبل؟

رقم «صفر»: هناك طريق برِّي غير ممهد كان يُستعمل إلى وقت قريب قبل أن ينهدم بفعل هزة أرضية ولم يتم استصلاحه بعد، وهو يعتبر الآن طريقًا غير آمنٍ بسبب الشقوق العميقة التي ظهرت فيه. إنَّ بعضها بعرض مائة متر ... ولكن ليس هناك طريق آخر للوصول إلى قمة الجبل إلا بالطيران فوقه ...

أحمد: وأظن أنَّ ذلك سيكون مكشوفًا تمامًا لعدونا.

رقم «صفر»: هذا صحيح، ولذلك فأنا أُفضِّل استخدام هذا الطريق البري برغم خطورته ... وعلى أيِّ الأحوال؛ فإنَّ أمامكم خمسة أيام فقط للوصول إلى القاعدة وتدميرها، قبل أن ترسل قمرها الصناعي التجسسي الثاني ... أما المجموعة التي ستقوم بهذه المهمة، فهي تتكون من «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«زبيدة» و«قيس» و«بو عمير» ... هل هناك أيَّة أسئلة؟

ولم يردَّ أحد من الشياطين، فقال رقم «صفر»: سوف تجد المجموعة المسافرة تذاكرهم على الطائرة المتجهة إلى «سانتياغو» عاصمة «شيلي»، والتي ستقلع بعد ساعتين، وفي

فندق «كلب البحر الأزرق» سيتصل بكم أحد عملائنا لإمدادكم ببعض المعلومات والأسلحة الضرورية، وسيكون التعارف بينكم بكلمة السر «جبل النَّار سوف يبرد للأبد».

وصمت رقم «صفر» لحظة، ثم أضاف في رقة: وأرجو أن أسمع أخبارًا طيبة قبل انتهاء الأيام الخمس.

وسمع الشياطين صوت خطواته في وضوح وهي تغادر المكان، ثم أُضيئت الأنوار، وتقابلت أنظار الشياطين الستة الذين كلفهم رقم «صفر» بالمهمة، وكان في ابتسامتهم ثقة عالية، وتلهف للوصول إلى «أرض النَّار».

نهر النيل ... وجبال الأنديز!

في الموعد المحدد كان الشياطين الستة يستلقون على مقاعدهم في الطائرة المتجهة إلى «سانتياغو» عاصمة «شيلي»، والتي كان مقررًا لها أن تهبط أولًا ترانزيت في العاصمة البرازيلية قبل أن تتجه إلى وجهتها النهائية.

وأغمض الشياطين أعينهم خلال الرحلة الطويلة، فقد كانوا بحاجة إلى أكبر قسط من الراحة قبل أن تتهيأ كل عضلة منهم للقتال ... وكانت لديهم ميزة رائعة، هي قدرتهم على النوم في اللحظة التي يرغبون فيها وقد تدرَّبوا على ذلك طويلًا، ثم يستيقظون فجأة عند أدنى إحساس بالخطر، كأنَّ هناك حاسة سادسة تعمل في عقل كلٍّ منهم.

واستيقظ الشياطين على صوت قائد الطائرة، وهو يحيي ركابها بوصولهم إلى برازيليا ... والتقت نظرات الشياطين في ابتسامة واسعة، وهم يتذكرون مغامرتهم التي دارت في ذلك المكان «سباق الموت»، وكيف ضلوا طريقهم في الغابات البرازيلية القاتلة، قبل أن يتمكنوا من الخروج منها. ولم تمكث الطائرة غير ساعتين، ثم عادت تحلق، متجهة إلى «سانتياغو»، وأقبلت المضيفة تحمل شراب عصير الأناناس المثلج الطازج.

احتسى «عثمان» العصير اللذيذ، وقال: مع تحيات الغابات البرازيلية بكل ذكرياتها الرائعة.

وقال «أحمد» باسمًا: سيكون هذا آخر شيء مثلج نشربه في مهمتنا.

سألته «إلهام»: ولماذا يا «أحمد»؟

أجابها «أحمد»: لأننا نتجه إلى مكان بارد جدًّا، فبالرغم من تلك التسمية «أرض النَّار» إلا أنَّها تقع في جنوب المحيط الهادي، والجو هناك بارد جدًّا، يصل إلى درجة التجمد في الصيف.

زبيدة: إذن، سنأكل الثلج المجروش.

وضحكوا جميعًا، وقضوا الساعات القليلة المتبقية على وصولهم في طرح مختلف الاحتمالات، التي قد تصادفهم في مهمتهم القادمة.

وأخيرًا. استقرت الطائرة في مطار «سانتياغو»، وكانت الإجراءات الجمركية بسيطة، فخرج الشياطين خارج المطار، وتلفتت «إلهام» حولها، فقال «أحمد» لها: لا أظن أنَّ عميل رقم «صفر» سيظهر بهذه السرعة.

قالت «إلهام» بقلق: ولِم لا؟ ... إنَّ الوقت المتبقي أمامنا قليل، ولا يجب إضاعة دقيقة واحدة منه ...

أحمد: على أيِّ حال، يجب علينا الذهاب إلى فندق «كلب البحر الأزرق»، وأظن أنَّنا سنجد عميلنا هناك، كما أخبرنا رقم «صفر».

وأشار إلى تاكسي كبير، اندسَّ فيه الشياطين، وطلبوا من السائق الاتجاه بهم إلى فندق «كلب البحر الأزرق».

وتأمل الشياطين الشوارع حولهم، وقد راحت السيارة التاكسي تقطعها بلا تعجل، فقد كان المكان جبليًّا، تظهر القمم والتلال والجبال في كل مكان حولهم، وقد تناثرت الأبنية والمساكن، وهي تحمل نقيضين غريبين، مساكن بُنيت من أحجار الجبال، بلا تهذيب، كأنَّها قطعة من المكان القاسي المحيط بها، وعمارات ضخمة، فخمة، على أحدث طراز. وعلى البعد ظهرت السحب الزرقاء، تكاد تلمس رءوس التلال البعيدة.

تأمل «بو عمير» الطبيعة الرائعة حوله، وقال: يا للروعة!

قالت «إلهام»: إننا نرتفع عن سطح البحر بما لا يقل عن ثلاثة آلاف متر.

قال السائق: إنَّ بعض الجبال هنا ترتفع إلى خمسة آلاف متر، فطبيعة بلادنا جبليَّة، خاصَّة وهي تقع فوق سلسلة جبال الأنديز، هذا مكان لن تجدوا مثله في العالم.

ابتسم الشياطين، وتبادلوا النظرات، كان السائق يبدو متحمسًا لبلده، ورمقهم السائق في مرآة سيارته، وسألهم: هل هذه هي المرة الأولى التي تأتون فيها إلى بلادنا؟

أجاب «أحمد» باختصار: ونرجو ألا تكون الأخيرة.

قال السائق بحماس: لن تكون الأخيرة بكل تأكيد ... من يأتي بلادنا لا ينساها أبدًا، ويغالبه الحنين إليها، فيعود مرة ومرات ...

واتسعت عيناه وهو يضيف: هل سمعتم عن نهر النيل؟

بانت الدهشة على وجوه الشياطين، وظهر القلق في عيونهم، ترى هل اكتشف السائق أنَّهم عرب؟ هل أدرك أنَّ أحدهم مصري من بلد النيل؟ هل يشك فيهم ذلك السائق بطريقة ما؟ وتساءلت «إلهام» في ريبة: ولماذا تسألنا عن نهر النيل ... وهل هناك من لم يسمع عنه؟

قال السائق: إنَّهم يقولون إنَّ من يشرب من نهر النيل مرة لا بد وأن يعود إليه ثانية ... وهذا ينطبق على بلادنا، فمن يزورها مرة لا بد أن يعود إليها ... إننا نملك سلسلة من الجبال لا مثيل لها في أي مكان في العالم، مثل نهر النيل تمامًا.

تلاقت نظرات الشياطين في راحة، وخفَّ قلقهم. كان واضحًا أنَّ السائق يثرثر في بساطة، وأنَّه ليس أكثر من رجل وطني، يحاول أن ينقل حماسه لبلاده إلى مجموعة من «السائحين». وأمام فندق «كلب البحر الأزرق» توقف التاكسي، ونقد «أحمد» السائق ضعف أجرته، فتهلل وجه السائق، وقال شاكرًا بالإسبانية: شكرًا لك أيُّها العربي.

بانت الدهشة في عيني «أحمد»، وسأل السائق: وكيف عرفت أنَّني عربي؟!

ردَّ السائق ببساطة: إنَّ ملامحكم مميزة ... تمامًا مثل ملامحنا ... ولا بد أنَّ ماء النيل تظهر آثاره على كل من يشربه، تمامًا كما تظهر آثار طبيعة بلادنا فوق ملامحنا.

تأمل «أحمد» السائق بصمت واندهاش، وتساءل في شك: تُرى هل كان حديث ذلك السائق الطيب الملامح مجرد ثرثرة عادية مع زبائنه، أم أنَّ هناك شيئًا خفيًّا يُلمح إليه السائق، وبتعبير أدق: هل كانت مهمتهم وهويتهم مكشوفة بطريقة ما؟

شكر «أحمد» السائق، وانضم إلى بقية زملائه، وحملوا حقائبهم الصغيرة التي وضعوا بها كل الضروريات، ثم اتجهوا إلى الفندق.

كان الفندق صغيرًا، مكونًا من ثلاثة طوابق من الخشب، أشبه بالفنادق الساحلية، التي تقام على شواطئ البحار، لاستقبال البحَّارة التي تأتي سفنُهم من الأماكن البعيدة، فيقضون في تلك الفنادق ليلة أو ليلتين قبل أن يغادروها ثانية ... ولكن ذلك الفندق برغم صغر حجمه، كان آية في الجمال والنظافة، وقد ارتصت فيه قناديل صغيرة، ألقت ضوءًا حالمًا على المكان ...

قالت «زبيدة» باسمة: يبدو أنَّ مهمتنا ستبدأ بداية شاعريَّة.

عثمان: هذا نوع من التدرج ... قناديل الآن ... وبراكين بعد قليل.

ابتسم الشياطين، وقاموا بحجز ثلاث غرف لمدة ليلة واحدة؛ فقد كانوا متأكدين من أنَّ عميل رقم «صفر» لن يتأخر عنهم أكثر من ذلك.

وفي حجراتهم، بدَّل الشياطين ملابسهم بعد أن أخذ كل منهم دشًّا باردًا، فقد كان الجو حولهم حارًّا خانقًا، بسبب ارتفاع المكان عن سطح الأرض، وعندما هبط الشياطين إلى قاعة الاستقبال بالفندق، كان المساء قد هبط في الخارج، وزاد ضوء القناديل توهجًا، ولم يكن هناك غير عدد قليل من الرواد الذين قد جلسوا يقرءون الجرائد، أو يثرثرون بلا اهتمام.

انتحى الشياطين الستة ركنًا خاصًّا، ونهضت «زبيدة»، فأحضرت مشروبات مثلجة للجميع، أخذوا يحتسونها ببطء، وهم ينظرون حولهم متفحصين.

تساءلت «إلهام» بصوت خفيض: أين هو عميل رقم «صفر»؟ لماذا لم يظهر حتى الآن ... من المؤكد أنَّه علم بموعد وصولنا.

بو عمير: لعله ينتظر فرصة مناسبة ليتقدم إلينا بعيدًا عن الأنظار.

إلهام: هذا يعني أنَّه يشك أنَّنا مراقبون؟

وتلفتوا حولهم في حذر ... ولكن لم يكن هناك ما يريب، فقد انشغل كل الموجودين في أشياء خاصة بهم، بدون أن يلتفتوا إلى الشياطين.

نهض «أحمد» وهو يقول: لا فائدة من الجلوس هنا والانتظار ... فلنأخذ جولة حول المكان، ولا بد أنَّ رَجُلنا سيسعى خلفنا بعيدًا عن العيون.

عثمان: هذا أفضل بالفعل.

ونهضوا جميعًا، وغادروا المكان ... وعندما تأكد موظف الاستقبال من خروجهم، أسرع يتحدث في التليفون حديثًا هامسًا، ليصف ملامح الشياطين لمن يحدثه ... وجاءته الإجابة واضحة محددة ... وأسرع موظف الاستقبال بتنفيذها فورًا.

الطيران ... بلا أجنحة!

ما كاد الشياطين يخرجون من الفندق، حتى فوجئوا بسائق التاكسي الذي أقلَّهم من المطار وهو يتقدم نحوهم، مُرَحِّبًا، قائلًا: لقد توقعت خروجكم في جولة، فهذا هو شأن أغلب السياح، ولذلك انتظرتكم، ويمكنني أن آخذكم في جولة بالمدينة بمبلغ قليل.

تبادل الشياطين النظرات، وزاد شكهم في الرجل، وأجابته «إلهام» في خشونة: سوف نتجول على أقدامنا ولا حاجة لنا بتاكسي.

ولكن «أحمد» تقدم نحو السائق قائلًا: بالعكس، سوف تكون جولتنا ممتعة بالتاكسي، خاصة مع سائق لطيف مهذب.

وتلاقت عيناه مع بقية الشياطين، ففهموا ما يريده «أحمد»، وفي صمت اندسُّوا داخل السيارة، وما كاد سائقها يدير محركها ويبتعد بها عن الفندق، حتى أمسكه «عثمان» من رقبته مهددًا، وصاح فيه: من أنت؟ ... إنَّك لست سائقًا عاديًّا، ومن الواضح أنَّك تطاردنا و...

قاطعة السائق، قائلًا: جبل النَّار سوف يبرد للأبد.

حملق الشياطين في السائق بدهشة عظيمة، كانت هذه هي كلمة السر التي سيتعرفون بها على عميل رقم «صفر»، وابتسم «أحمد» ابتسامة هادئة، وقال: هذا ما توقعته.

تراخت يد «عثمان» عن رقبة السائق، وقال مندهشًا: أنت؟ ... ولماذا لم تخبرنا منذ البداية؟

قال السائق: دعوني أعرفكم بنفسي أولًا ... إنَّني أُدعى «مارشيللو»، وأنا من مواطني هذه البلاد، ولم يكن من اللائق أن تبدءوا العمل قبل الحصول على قسط قليل من الراحة وحمَّام بارد ...

قيس: لا وقت لدينا ... إنَّنا نريد الذهاب فورًا إلى مكان القاعدة الأرضية.

مارشيللو: إنَّ كل شيء جاهز ومُعدٌّ ... إذا ما انطلقنا في منتصف الليل، فسوف نصل إلى جزيرة «ولنجتون» ظهر الغد، ومن هناك يمكنكم الوصول إلى هدفكم في ساعات قليلة.

زبيدة: هل سنسافر بالطائرة؟

مارشيللو: لا، سيكون هذا لافتًا للنظر بشدة، إنَّ بلادنا جميلة، وطريقة السفر المعتادة هي البحر، فهو الأسرع والأمتع، فهناك زورق سريع ينتظرنا بكل التجهيزات الخاصة بعملكم.

تساءل «عثمان» بقلق: ولماذا يكون سفرنا بالطائرة لافتًا للنظر ... هل تظن أننا مراقبون أو أنَّ أحدًا يعرف بمهمتنا؟

مارشيللو: من يدري؟ ... كل شيء محتمل في مثل هذا العمل.

أحمد: وأين هو الزورق الذي سنسافر به؟

مارشيللو: إنَّه يوجد في مدينة «فالباريزو» الساحلية، ويمكننا الوصول إليها خلال ثلاث ساعات بالطريق الجبلي.

أحمد: إذن، هيا بنا لإحضار حقائبنا من الفندق.

وعاد بهم «مارشيللو» إلى الفندق، واتجه الشياطين إلى غرفهم لحزم حقائبهم، ودلَّت نظراتهم المتفحصة على أن يدًا خفيَّةً قد عبثت بحقائبهم بحثًا عن شيءٍ ما.

قال «قيس» بقلق: هناك من كان يبحث عن شيءٍ في حقائبنا.

أحمد: أظن ذلك، وعلى العموم، فهي نظيفة لا شيء يُريب بها، ولعلهم هنا معتادون على تفتيش حقائب النزلاء في غيابهم.

عثمان: أو لعل هناك من يسعى خلفنا.

تلاقت نظرات الشياطين في صمت، وقال «أحمد» منهيًا النقاش: دعونا لا نسبق الأحداث ... هيا بنا.

وانطلقوا خارجين، واستقلوا سيارة «مارشيللو» الكبيرة، التي اتجهت بهم نحو الطريق الجبلي المتعرج الموصل إلى مدينة «فالباريزو» ... ومرة أخرى، قام موظف الاستقبال بالتحدث تليفونيًّا ليخبر شخصًا ما بأنَّ الشياطين قد غادروا الفندق، وطمأنه المتحدث على الخط الآخر بأنَّ كل شيء مُعدٌّ ... حتى لا يصل الشياطين إلى أهدافهم أحياء.

انطلقت سيارة «مارشيللو» تقطع الطريق الجبلي الوعر المتعرج بسرعة دلت على خبرة السائق، ومعرفته الدقيقة بتفاصيل المكان. وكانت الإضاءة القليلة حول الطريق والسكون المحيط به، وهامات الجبال البعيدة كأنَّها مرَدَة هائلة تمسك السماء بأذرعتها، كل هذا كان يثير شيئًا من القلق والغموض حول المكان.

ومال «عثمان» نحو «أحمد»، وقال بصوت منخفض: إنَّني أحس أنَّ شيئًا ما سيحدث، إنَّ تفتيش حقائبنا في الفندق ... يدل على ذلك.

أحمد: لا أظن أنَّ مهمتنا قد انكشفت لأعدائنا بمثل هذه السهولة.

عثمان: لعل أعداءَنا احتاطوا للأمر مسبقًا أو استنتجوا مهمتنا؛ ولذلك راقبوا كل نزلاء فنادق «سانتياغو» تحسبًا لوصول غرباء، وخاصة العرب ... من المؤكد أنَّهم يعرفون أنَّنا نسعى حتمًا لتدمير قاعدتهم؛ ولذلك احتاطوا مسبقًا ... وأعتقد أننا سنواجه خطرًا سريعًا.

وما كاد «عثمان» يُنهي عبارته، حتى أوقف «مارشيللو» سيارته بفرامل حادَّةٍ، حتى كادت رءوس الشياطين تصطدم بحاجز السيارة أمامهم من شدة الصدمة، وهتف «مارشيللو» بسخط ودهشة: من الذي وضع هذه الصخور فوق الطريق الضيق؟

ألقى الشياطين نظرة خارج السيارة، فشاهدوا عددًا من الصخور الكبيرة تسد الطريق الجبلي، وغادروا السيارة، واقتربوا من الصخور مندهشين. وقال «أحمد»: يبدو أنَّ انهيارًا صخريًّا قد حدث بأعلى الجبل، فتساقطت الصخور وسَدَّت الطريق.

إلهام: من المؤكد أنَّ هذا الانهيار متعمد و...

وقبل أن تكمل «إلهام» عبارتها، دوَّى من أعلى صوت هائل، كأنَّ الجبل قد انشقَّ نصفين، ومن أعلى، كانت هناك صخرة هائلة في حجم منزل من طابقين، وقد راحت تتدحرج هابطة لأسفل، نحو الشياطين، لتسحقهم سحقًا ...

صرخ «أحمد» محذرًا: ابتعدوا عن طريق هذه الصخرة.

ولكن ... لم يكن هناك أيُّ مكان يهربون إليه، وقفز الشياطين قفزة رجل واحد، وتعلقوا بجذع شجرة قريب يبرز أسفل الطريق، وألقى «مارشيللو» بنفسه نحو حافة الطريق، محتميًا بعيدًا عن سيارته، وسقطت الصخرة الرهيبة فوق السيارة، فأحالتها إلى كومة من الحديد المنبعج، قبل أن تسقط في الهوة، أسفل الجبل، وتتحطم أسفل بصوت كالرعد.

تسلق الشياطين حافة الطريق الجبلي مرة أخرى، ووقف «مارشيللو» يمسح عرقه، وهو يشاهد سيارته التي تحولت إلى كومة من الحديد، وقال ذاهلًا: لو مستنا هذه الصخرة لَمَحَتْنا من الوجود تمامًا.

أحمد: معك حق ... يبدو أنَّ هناك من يريد التخلص منا، بحيث يبدو الأمر طبيعيًّا تمامًا، انهيار صخري أطاح بسيارتنا ... ما العمل الآن؟ ... وكيف سنهبط الجبل؟ ...

نظر «أحمد» في ساعته، كانت تقترب من منتصف الليل: «مارشيللو»، كم تبعد مدينة «فالباريزو» عن هنا؟

أشار «مارشيللو» إلى نقطة بعيدة، تشع منها بعض الأضواء على الساحل: إنَّها هناك ... إذا ما تمكنَّا من هبوط الجبل، فيمكننا أن نصل إليها خلال أربع ساعات بالسيارة ... ولكن هبوط الجبل على أقدامنا يستغرق يومًا كاملًا ...

أحمد: بل سيستغرق خمس دقائق فقط.

هتف «مارشيللو» مندهشًا: ماذا؟ ... كيف نهبط في خمس دقائق؟ هل سنطير؟

أحمد: تقريبًا.

وأسرع إلى سيارة التاكسي المحطمة، وتعاون الشياطين في فتح حقيبتها الملتوية، حيث وضعوا حقائبهم، فأخرجوها، وبسرعة فتح الشياطين حقائبهم، وكانت بداخل كل منها مظلة هبوط «باراشوت»، أخذ الشياطين يربطون أحزمتها حول أكتافهم.

صاح «مارشيللو»: هذا رائع.

أحمد: إذا كان عدوُّنا قد احتاط لنا، فنحن لا نقل حيطة عنه.

قال «عثمان» بقلق: ولكننا لا نملك غير ست مظلات هبوط صغيرة، وهي لا تحتمل هبوط شخصين معًا، فكيف سيهبط «مارشيللو» معنا؟

أحمد: سيهبط معنا بنظرية الفريق المتعاون ... سوف نتماسك جميعًا عند الهبوط على شكل دائرة، سنمسك «مارشيللو» بأيدينا معًا، وبذلك يمكننا الوصول جميعًا بسلام إلى الأرض.

ظهر شيءٌ من الخوف على وجه «مارشيللو»، ولكن «أحمد» طمأنه، وتماسكت أيدي الشياطين الستة معًا، وتعلق «مارشيللو» بهم في المنتصف، وقد أمسك «أحمد» و«عثمان» و«قيس» و«بو عمير» بقدم أو يد لـ «مارشيللو»، وبأيديهم الأخرى تماسكوا معًا ...

وقفز الشياطين إلى قلب الهوة المظلمة أسفل الجبل، وأغمض «مارشيللو» عينيه في رعب، وهو يتمتم بصلاته الأخيرة!

انفجار ... تحت الماء!

وصل الشياطين إلى الأرض سالمين، ولم يصدق «مارشيللو» عينيه، وهو يلمس الأرض بقدميه سالمًا، ولحسن حظهم، شاهدوا سيارة نقل تُقبل من الطريق المظلم، وفوجئ سائقها بالشياطين، الذين هبطوا أمامه من السماء، فأوقف سيارته بصوت حاد، وهو يحملق فيهم. وبهدوء، اقترب منه «أحمد»، وطلب توصيلهم إلى ميناء مدينة «فالباريزو»، فابتلع السائق دهشته، وهزَّ رأسه موافقًا، بدون أن يجرؤ على الرفض، وهو يحسب الشياطين شياطينَ حقيقية هبطت من مكان ما في السماء.

وفي الميناء، كان الزورق في انتظارهم ... وتأمل الشياطين الزورق بإعجاب، فقد كان شكله أقرب إلى «يخت» فاخر، به كل مستلزمات الراحة، وتصل سرعته القصوى إلى مائتين كيلومتر في الساعة. وفي مقدمة الزورق، كانت هناك أسلحة خفيَّة مُخفاة بمهارة ... مدافع رشاشة، وقنابل يدوية، وقنابل حارقة. كما كانت هناك معدات، وملابس خاصة، مما يستعملها العلماء الذين يقومون بدراسة البراكين عن قرب، ويحميهم من حرارتها العالية، وأبخرتها السامة.

قال «مارشيللو» للشياطين: إنَّ هناك سيارتين خاصتين بصعود المناطق الوعرة بانتظاركم في جزيرة «ولنجتون»، يمكنكم شحنها بكل هذه الأجهزة والأسلحة.

قال «بو عمير»: هذا حسن جدًّا، وأرجو أن نصل إلى الجزيرة بأقصى سرعة.

قال «مارشيللو»: سوف أنطلق بالزورق بأقصى سرعة للوصول إلى الجزيرة.

قالت «إلهام»: دع لي هذه المهمة فأنا أحب قيادة الزوارق، وسوف تتكفل البوصلات والخرائط الملاحية بإرشادي إلى مكان الجزيرة.

أجابها «مارشيللو»: هذا حسن، فإنني أريد الحصول على قليل من الراحة، بعد تلك المغامرة الهائلة التي صادفناها على الجبل.

وابتسم الشياطين لتشبيه «مارشيللو» سقوط الصخرة الكبيرة بأنَّه مغامرة هائلة ... ترى بماذا سيسمي أعمال الشياطين العظيمة إذا ما ساقه الحظ إلى إحداها؟

وانطلقت «إلهام» بالزورق بحذاء الساحل، على مسافة كيلومترات قليلة منه باتجاه الجنوب، وكان الجو لطيفًا جدًّا في الليل، وقد أضاء السماءَ عددٌ من النجوم البعيدة الملتمعة، كأنَّها حبات ماس متناثرة في صفحة السماء. وأخذ النسيم البحري يداعب شعر «إلهام»، فيطيره إلى الخلف. وقرابة الفجر، هدَّأت «إلهام» من سرعة الزورق حتى أوقفته تمامًا، لكي يبرد محركه، واقترب «أحمد» منها، وقال لها: دعيني أقود الزورق باقي الطريق بعد أن نستريح قليلًا.

إلهام: سأظل بجوارك، فليست لي رغبة في النوم، والمكان هنا رائع جدًّا.

أحمد: ما رأيكِ في الغوص قليلًا تحت الزورق؟

هتفت «إلهام»: سيكون هذا شيئًا رائعًا.

وارتدى كل منهما ملابس الغوص، وتسلح «أحمد» ببندقية صيد مائية، وقفز الاثنان إلى الماء. أشعل «أحمد» بطاريته الكبيرة، فأضاءت الماء حوله، فغاص مبتعدًا و«إلهام» خلفه، وأخذ الاثنان يراقبان الأحياء البحرية حولهما، والأسماك المختلفة الأنواع والأحجام. وفجأة، أشارت «إلهام» مذعورة لـ «أحمد» أمامها، وألقى «أحمد» نظرة سريعة ... وإلى الأمام، وعلى مسافة أمتار قليلة، شاهد «أحمد» سمكة قرش كبيرة تندفع نحوهما بسرعة كبيرة، وهي ترمقهما بعينيها الحادتين.

أشار «أحمد» لـ «إلهام» على الفور، أن تتبعه، واندفع الاثنان باتجاه صخرة ضخمة ناتئة في قلب الماء، واندفعت سمكة القرش خلفهما، وأدرك «أحمد» أنَّ السمكة ستصل إليهما حتمًا، وصوَّب بندقيته المائية نحو رأس السمكة بين عينيها، وأطلق سهمه. وما كاد السهم يخترق رأس السمكة، حتى دوى انفجار هائل، وانفجرت السمكة مثل طوربيد رهيب، وتحول قلب الماء إلى جحيم، وكان الانفجار من القوة، بحيث أطاح بـ «أحمد» و«إلهام» من خلف الصخرة إلى الوراء عشرة أمتار، واهتزَّ سطح الماء بأعلى بقوة، فاهتزَّ الزورق كأنَّه على وشك الغرق ...

تحامل «أحمد» على نفسه، وسبح نحو «إلهام» فوجدها تغوص، فاقدة الوعي من شدة الانفجار، فأسرع إليها رغم آلامه، وحملها فوق ذراعيه، وصعد بها لأعلى. وما كاد بقية الشياطين يرونهما يبرزان من قلب الماء، حتى أسرعوا إليهما، وحملوهما لأعلى مندهشين، وهم يسألون «أحمد» عما حدث، وسبب ذلك الانفجار في قلب الماء ...

قصَّ «أحمد» على الشياطين ما جرى. وقال «عثمان» مذهولًا: إذن، فقد كانت تلك السمكة مزيفة، مجرد طوربيد بحري على شكل سمكة قرش.

أحمد: هذا لا شك فيه، وقد أرسلها أعداؤنا بتوجيه إلكتروني، لتصطدم بنا وتفجر الزورق، ولحسن الحظ أنني أطلقت عليها السهم في مكان المادة المتفجرة في رأسها، بدون أن أدري حقيقتها.

قال «بو عمير» بقلق: لولا الصخرة التي احتميتما بها أنت و«إلهام» لقضى الانفجار عليكما.

قال «أحمد» بقلق: المهم الآن «إلهام»، أخشى أن تكون إصابتها خطيرة.

ولكن «زبيدة» طمأنتهم بأنَّ إصابة «إلهام» بسيطة، بعض الخدوش في ذراعيها. فتنفس الشياطين الصُّعَداء، واتجهوا إلى فراش «إلهام»، وكانت راقدة فوقه، وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة. فقد كان الشياطين يبتسمون دائمًا، حتى في أحلك المواقف.

وانطلق «أحمد» بالزورق بأقصى سرعته، فقد كان وجودهم في قلب المحيط يمثل خطرًا عليهم، فقد تطاردهم قذيفة أخرى، في أي شكل، وتصيب زورقهم بدون أن يحسوا بها.

واقترب «مارشيللو» وهو يمسح عرقه الغزير من فوق جبهته، وقال لـ «أحمد» بعينين واسعتين: هل ... هل كنت تعرف بأنَّ هذه السمكة ملغومة، ولذلك أوقفت الزورق، وغصت من أجل تفجيرها؟

أحمد: إنَّه نوع من الإلهام ... عندما تعتاد الخطر مثلنا، فإنَّك تبدأ في الإحساس به من قبل قدومه، بل وتستطيع أن تشم رائحته أيضًا ... وهكذا تصبح المسألة سهلة، ولا يمكن لإنسان أن يأخذك على غرة.

عاود «مارشيللو» تجفيف جبهته بمنديل، وغمغم بصوت خفيض: أظن أنني سأعتزل هذا العمل عندما نصل إلى جزيرة «ولنجتون» ... لقد صادفت في هذه الليلة من الأخطار، ما لم أصادفه في عمري كله.

لم يردَّ «أحمد»، وزاد من سرعة الزورق حتى بلغ أقصاها، فقد كانت دماؤه تشتعل بنار الغضب لما جرى لـ «إلهام» ... وكان هناك حسابًا يريد تصفيته ... ولا سبيل إلى ذلك إلا فوق «أرض النَّار»، وأقسم «أحمد» ليُحيلها إلى أرض حقيقية للنَّار.

داخل عرين الأسد!

وصل زورق الشياطين إلى الجزيرة في الظهر تمامًا، وكانت حالة «إلهام» قد تحسنت وانضمت إلى بقية الشياطين، وقام الجميع بتفريغ حمولة الزورق من السلاح والملابس الخاصة بالبراكين، والخرائط التي تشرح الطريق الصاعد إلى قمة جبل القاعدة الأرضية.

وودع الشياطين «مارشيللو» الذي تمنى لهم حظًّا طيبًا، ثم انطلق بزورقه عائدًا إلى «سانتياغو». وقسَّم الشياطين أنفسهم إلى مجموعتين؛ الأولى: مكونة من «أحمد» و«إلهام» و«عثمان»، في السيارة الجيب فورد الكبيرة الأولى، والثانية: من «زبيدة» و«بو عمير» و«قيس». وانطلقوا بالسيارتين خارج الجزيرة، فوق عَبَّارة كبيرة حملتهم إلى الساحل، ثم انطلقوا في طريق جبلي متعرج، باتجاه مدينة «بونتاريناس» ... فبلغوها بعد أربع ساعات؛ بسبب وعورة الطريق ... ومن بعيد ظهرت لهم قمم البراكين التي يندلع اللهب من فوهتها، وينطلق الدخان كثيفًا لأعلى، فيحجب السماء، ويصبغها بلون أسود كئيب ... وتوقفت السيارتان على حدود المدينة، وتجمع الشياطين. وأشارت «زبيدة» إلى مكان على الخريطة، أحيط بدائرة حمراء، يبعد مسافة خمسين كيلومترًا عن المدينة، جهة الشمال، وقالت: هذا هو الجبل الذي يحتوي على القاعدة ... ما رأيكم؟ هل نواصل أم نحصل على بعض الراحة قبل أن نغادر المدينة؟

قالت «إلهام» بإصرار: سوف ننطلق فورًا.

واعترض «أحمد» قائلًا: لا يا «إلهام» ... لقد قضينا وقتًا طويلًا في السفر، ونحن جميعًا بحاجة إلى الراحة، خاصة أنتِ ... وسيكون من الأفضل أن نبدأ مهمتنا غدًا في الصباح الباكر.

وافق الجميع؛ فقد كان الإرهاق والتعب يبدو عليهم.

واتجهوا إلى فندق صغير قريب، سجلوا فيه أنفسهم باعتبارهم طلبة بإحدى الكليات العملية قدموا في بعثة لدراسة براكين المنطقة. وقال لهم موظف الاستقبال مندهشًا: أنتم طلبة تريدون دراسة البراكين في هذا المكان ... هذا شيء لم أسمع عنه من قبل، فإنَّ أقسى الرجال جسارة يخشون الدنو من هذا المكان ... فالبراكين هنا قد تنفجر في أيَّة لحظة برغم كل أجهزة الرصد والتنبؤ، فتحيل المكان إلى جهنم.

ولكن الشياطين لم يهتموا، واتجهوا إلى غرفهم، بعد أن قسموا أنفسهم إلى ثلاث مجموعات لحراسة السيارتين بالتبادل. وفي الصباح، كانوا قد استعادوا نشاطهم، فركبوا السيارتين وانطلقوا إلى وجهتهم الأخيرة، وقد تسلحوا بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية، تحسبًا لأي خطر قد يواجهونه في الطريق.

ولكن ... لم يكن هناك أي خطر بشري حولهم، وكان الخطر الأكبر متمثلًا في الطريق المتعرج المليء بالصخور الحادَّة والحمم الباردة. وانطلق الشياطين صاعدين الطريق الجبلي المتعرج الخطر في بطء، والدخان الكثيف يصل إلى أنوفهم، يحمل رائحة حادَّة.

أوقف «أحمد» السيارتين، وقال: من الأفضل ارتداء الأقنعة الواقية من الغازات، وملابس البراكين المقاومة للحرارة.

وفي دقائق، ارتدى الشياطين الملابس والأقنعة، وواصلوا صعودهم البطيء، وعلى مسافة لا تزيد عن كيلومترات قليلة. كانت البراكين المتفجرة تُلقي بلهيبها إلى السماء، فتحيل الجو حولهم إلى حرارة خانقة، تكاد تشوي الإنسان حيًّا ...

وفجأة، ظهر أمام الشياطين صدع هائل في الطريق أمامهم، يستحيل عبوره بالسيارتين، وتوقف الشياطين أمام الصدع مفكرين، وقالت «زبيدة»: ليست هناك سوى وسيلة واحدة لعبور هذا الصدع، وهي أن نُلقي حبلًا إلى أيٍّ نتوء بارز في الناحية الأخرى، ونشده إلى السيارتين، ثم نعبر الصدع فوق الحبال.

قالت «إلهام» بقلق: وأسلحتنا، هل سنتركها في السيارتين؟

أجاب «أحمد»: لن يكون في استطاعتنا غير حمل القليل منها ... إنَّنا لن نستطيع أن نخاطر بحملها كلها والسير بها فوق الحبال.

وكان «أحمد» محقًّا ... ولم يكن هناك أي وقت لكي يُضيعه الشياطين في محاولة حمل أسلحتهم كاملة إلى الناحية الأخرى، وأسرع الشياطين بإلقاء الحبال من سيارتهم إلى صخرة ناتئة في الجانب الآخر، وثبتوا الحبال جيِّدًا، وحمل كل منهم مدفعًا رشاشًا وعددًا من القنابل المغناطيسية والخرائط، ثم بدءوا السير فوق الحبال المشدودة، فعبروا الصدع إلى الناحية الأخرى ...

ورفع «أحمد» يديه بعلامة النصر، وواصل الشياطين صعودهم البطيء، والحرارة تشتد كلما صعدوا أكثر، وبالرغم من وقوعهم قريبًا من القارة القطبية الجنوبية المتجمدة، وعلى البعد كانت هامات الجبال البعيدة الساكنة يكسوها الثلج، على حين كان الهواء حولهم يبدو وكأنَّه مشتعل بالنَّار.

وعندما حلَّ المساء على المكان، كان الشياطين قد أوشكوا على إكمال صعودهم البطيء، ووقفوا يلتقطون أنفاسهم ويتناولون بعض البسكويت الجاف. وقال «بو عمير» مندهشًا: من العجيب أنَّ أعداءنا لم يحاولوا منعنا، أو التصدي لنا في صعودنا للجبل.

عثمان: لعلهم ظنُّوا أنَّ الزورق انفجر بسبب سمكتهم الملغومة.

بو عمير: لا أظنُّ، وإلا لكانوا ظنُّوا أنَّ الصخرة قد سحقتنا في الطريق الجبلي.

أحمد: معك حق يا «بو عمير»، ولا بد أنَّهم ينتظرون صعودنا إلى قمة الجبل قبل أن يبادرونا بالهجوم، فيوفروا على أنفسهم المشقة، وربما يفكروا في أنَّنا لن نستطيع بلوغ قمة الجبل أبدًا.

قال «عثمان» في حماس: سوف نثبت لهم أنَّهم مخطئون.

وأكمل الشياطين صعودهم، وعلى البعد ظهرت أمامهم الأبنية الصخرية القليلة فوق الجبل ... فهمس «أحمد»: لقد وصلنا.

وما كاد ينهي عبارته حتى دوت طلقات الرصاص حولهم في كل مكان. وألقى الشياطين بأنفسهم خلف بعض الصخور يحتمون بها، وبادلوا مهاجميهم بالمدافع الرشاشة.

وتسلل «أحمد» زاحفًا وسط الصخور الحادة، ودار دورة كاملة، حتى وصل خلف المهاجمين، وكان عددهم يزيد عن العشرين، ففتح مدفعه الرشاش عليهم، وقفز بعض المهاجمين هاربين، وظهرت «إلهام» من الظلام، وأخذت تُلقي القنابل اليدوية عليهم. فصاح «أحمد» بها: دعيهم يا «إلهام» ... إننا نريدهم أحياء ليرشدونا إلى الباب السري لدخول القاعدة.

توقفت «إلهام» عن إلقاء القنابل، وقفز «أحمد» بخفة خلف مهاجميه الذين انطلقوا باتجاه آخر المباني الصخرية، فوق الجبل، فعرف «أحمد» أنَّه يؤدي إلى قلب القاعدة، وبمدفعه الرشاش، حصد مهاجميه، قبل أن يندفعوا للاحتماء بالمبنى الصخري.

وعاد الهدوء يسود المكان، وتجمع الشياطين، وهتف «أحمد» في زملائه: سوف نبدل ملابسنا بملابس الحراس، ونرتدي أقنعتهم، وندخل إلى القاعدة كأنَّنا بعضهم.

بو عمير: ألن يكتشفوا حقيقتنا؟

أحمد: لا أظنُّ؛ لأنَّ أقنعة الغازات التي يرتديها الحراس ستخفي ملامحنا وتفاصيل صوتنا.

إلهام: وماذا ستكون خطتنا بعد دخولنا القاعدة؟

أحمد: سوف ننقسم إلى ثلاث مجموعات: أنا و«إلهام»، و«عثمان» و«زبيدة»، و«بو عمير» و«قيس»، وكل مجموعة ستتجه إلى أحد أقسام القاعدة لتقوم بزرع القنابل فيها، بحيث تنفجر في الفجر ... وقبل ذلك الوقت سنكون قد غادرنا القاعدة إلى الأبد، ونهبط الجبل قبل أن ينفجر.

أومأ الشياطين برءوسهم موافقين. واتجهوا إلى المبنى الصخري، وقاموا بتبديل ملابسهم وأقنعتهم وسلاحهم، بأشياء الحراس، وفي قلب المبنى، كان هناك باب إلكتروني، ما إن اقترب منه الشياطين الستة، حتى انفتح أتوماتيكيًّا، فمروا من خلاله إلى قلب القاعدة، وانغلق خلفهم مرة أخرى ... ولم يدرك الشياطين أنَّهم وقعوا في مصيدة إلا متأخرًا ...

مفاجأة ... غير متوقعة بالمرة!

توقف «أحمد» لحظة في مدخل القاعدة، وتلفت حوله. فسألته «إلهام»: ماذا هناك يا «أحمد»؟

أجابها في توتر: إنَّني أشعر بإحساس خفي بأنَّ هناك ما يريب حولنا ... فدخولنا القاعدة بمثل هذه السهولة أمر غريب، ثم الباب الذي انفتح تلقائيًّا.

قال «عثمان» هامسًا: لا يمكن لأحد اكتشاف حقيقتنا ونحن بهذه الأقنعة والملابس التي تغطينا ... هيا ننفذ خطتنا ونزرع المتفجرات في المكان قبل اكتشاف حقيقتنا.

أحمد: هيا بنا.

وتقدم الشياطين في مدخل القاعدة، فاتجه نحوهم قائد الحرس، وكانت شارة النجمة فوق كتفه تدل على مكانته، وسألهم: كيف الحال بالسطح؟

أجاب «قيس»: إنَّهم لا يزالون يقاومون، وقد هبطنا لتغيير الأقنعة ومزيد من الذخيرة.

قال القائد: سأرسل مزيدًا من الرجال لأعلى.

تبادل الشياطين الستة النظرات، وتفرقوا، وكان من السهل عليهم الاهتداء إلى أركان القاعدة، فقد كانت هناك لوحات إرشادية وإشارات ضوئية تُشير إلى أماكن قاعة الأبحاث والتجارب، وقاعة الرصد والمتابعة، وقاعدة الإطلاق، ومحطة الكهرباء، وأماكن إقامة العاملين.

اتجه «عثمان» و«زبيدة» باتجاه قاعة الأبحاث والتجارب، واتجه «قيس» و«بو عمير» إلى قاعة الرصد والمتابعة، على حين اتجه «أحمد» و«إلهام» إلى قاعدة الإطلاق ... وتفرق الشياطين الستة، على أمل اللقاء خارج القاعدة، قبل بزوغ الفجر.

كان المكان الذي دخله «عثمان» و«زبيدة» مليئًا بالشاشات العريضة والأجهزة الإلكترونية ولوحات الأزرار الدقيقة، وهناك عدد من العلماء والفنيين في ملابسهم البيضاء،

قد جلسوا أمام الأجهزة والشاشات، يضغطون فوق أزرارها، وعدد آخر يتلقى تقارير مغناطيسية مثقوبة من بعض الأجهزة الأخرى ... وكان هناك باب يؤدي إلى قاعة أخرى أقل حجمًا، تشبه مختبرًا كيميائيًّا، وكان العاملون بالمكان منشغلين بالأجهزة أمامهم، فلم يلحظوا دخول «عثمان» و«زبيدة»، وتفاهم الاثنان، فاتجهت «زبيدة» إلى المختبر الكيميائي، وغافلت الموجودين به، وألصقت عددًا من القنابل المغناطيسية الصغيرة ... وفي نفس الوقت، ألصق «عثمان» عددًا آخر منها خلف بعض الأجهزة الإلكترونية. وفجأة، تقدم أحد العلماء من «عثمان»، وأمسكه من كتفه، وسأله بدهشة: ماذا تفعل هنا؟ ... ولماذا دخلت هذا المكان؟ ... أنت تعرف أنَّه من غير المسموح للحراس دخول هذا المكان.

تمالك «عثمان» نفسه بسرعة، وأجاب: إنَّ القائد يريد محادثة مستر «إكس».

قال العالم بدهشة: مستر إكس ... لا يوجد أحد بهذا الاسم هنا.

عثمان: إذن لعله في قاعة أخرى ... سأذهب لأبلغه رسالة القائد.

واتجه «عثمان» خارجًا، ونظرات العالِم تتبعه في دهشة وشك ... ولحقت «زبيدة» بـ «عثمان». فقال لها بارتياح: لقد كاد يُكتشَف أمري، ولكن الأمور سارت على ما يرام.

زبيدة: هل نخرج الآن إلى خارج القاعدة؟

عثمان: ليس قبل أن نطمئن على نجاح بقية المجموعة في مهمتها ... دعينا نحاول الاختفاء عن الأنظار إلى أن يتم الباقون عملهم.

وقبل أن يتحرك «عثمان» و«زبيدة» فوجئا بعشرة من المسلحين يصوبون مدافعهم الرشاشة إليهما. وظهرت الدهشة في عين «عثمان» للحظة، ومدَّ يده نحو مدفعه الرشاش، ولكن «زبيدة» أمسكت بيده قائلة: لا فائدة من المقاومة يا «عثمان» ... سيحصدوننا برصاصهم قبل أن نتمكن من الدفاع عن أنفسنا.

استسلم «عثمان» و«زبيدة» للحراس، فقادوهما إلى زنزانة ضيقة، أغلقوها عليهما. وقالت «زبيدة» ذاهلة: هل اكتشف الحراس حقيقة مجموعتنا؟

ولم يكن «عثمان» يملك إجابة مفيدة لسؤالها.

وكان المكان الذي دخله «قيس» و«بو عمير» يشبه إحدى القاعات التي تظهر في أفلام الخيال العلمي، فقد كان مليئًا بالشاشات الإلكترونية العريضة، التي ظهرت فوقها النجوم والكواكب البعيدة، وكان بعضها يرصد الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض، ويَصدُر من الأجهزة طنين خافت، وتقارير مستمرة.

لم يلتفت أحد لدخول «قيس» و«بو عمير»، وفي خفة اتجه الاثنان لزرع متفجراتهما، وما كادا ينتهيان منها، حتى فوجئا بالمدافع الرشاشة المحيطة بهما من كل اتجاه.

ولم يكن باستطاعة الشياطين شيئًا، فاستسلما في صمت، وسؤال رهيب يدور في ذهنهما: تُرى، هل كان هذا هو مصير بقية الشياطين؟

قام «أحمد» و«إلهام» بتتبع الأسهم والإشارات الضوئية التي أشارت لهما باتجاه قاعدة الإطلاق داخل قلب الجبل ... وتوقفا أمام باب إلكتروني انفتح لهما على الفور، فانكشفت أمامهما قاعة متسعة جدًّا قطرها لا يقل عن خمسمائة متر، وارتفاعها لا يقل عن مائة متر ... وفي منتصفها انتصب صاروخ ضخم عابر للقارات، لا يقل طوله عن خمسين مترًا، فوق قاعدة أسمنتية ضخمة، وحول الصاروخ أقيم برج عالٍ يدخل منه العاملون ويخرجون إلى قلب الصاروخ ... وكان هناك العديد من الأجهزة في كل مكان. وتلاقت نظرات «إلهام» و«أحمد» ... كان المكان معجزة تكنولوجية بلا أدنى شك، فتجهيز المكان نفسه داخل قلب الجبل يتطلب إمكانيات تكنولوجية هائلة، ورفع الصاروخ من الأرض إلى قلب الجبل يتطلب إمكانيات أكبر.

وتساءلت «إلهام» هامسة: وكيف ينطلق الصاروخ إلى الفضاء؟

ألقى «أحمد» نظرة إلى سقف القاعة العالي، وقال: لا بد أن هذا السقف يفتح أتوماتيكيًّا عند الإطلاق ليمرق منه الصاروخ.

إلهام: إنهم كما قال رقم «صفر» يمتلكون تكنولوجيا عالية جدًّا.

وفجأة هتف: انظر يا «أحمد».

ومن اليسار انفتح باب كبير، وظهرت منه إحدى القاطرات الصغيرة التي تسير بلا ضوضاء، وهي تجر خلفها عربة مسطحة فوقها قمر صناعي كبير يصل قطره إلى المترين.

همست «إلهام»: إنه يشبه القمر الصناعي الذي نسفناه في الفضاء.

أحمد: لا شك أنَّه قمر تجسسي يستعدون لإطلاقه داخل الصاروخ.

وتلفت حوله، ثم أكمل: فلننتهز فرصة انشغالهم برفع القمر الصناعي وتركيبه داخل الصاروخ لنزرع قنابلنا في كل مكان.

أومأت «إلهام» برأسها موافقة، واتجه كل منهما إلى ركن، وبدآ في زرع متفجراتهما المغناطيسية بدون أن يلحظهما أحد.

وفجأة شاهد «أحمد» بعض الحراس يتجهون إلى «إلهام» شاهرين مدافعهم الرشاشة، وعلى الفور دارت في ذهنه آلاف التساؤلات، تُرى هل انكشف أمرهم؟ هل وقع الباقون في الأسر؟

وصاح «أحمد» في «إلهام»: حاذري يا «إلهام»!

وقفز قفزة واسعة، فطار في الهواء وضرب أقرب الحراس فطوحه إلى الوراء، وجذب «أحمد» «إلهام» من ذراعها واندفعا يحتميان خلف القمر الصناعي. وهتفت «إلهام» في ذهول: ماذا حدث؟ ... كيف اكتشفوا حقيقتنا؟

كزَّ «أحمد» على أسنانه قائلًا: هذا ما توقعته منذ البداية.

إلهام: والباقون ... هل وقعوا في الأسر؟

أحمد: أظن ذلك. ولكنَّنا لن نكون صيدًا سهلًا ... إنهم لن يغامروا بإطلاق النَّار علينا؛ حتى لا يصيبوا قمرهم الصناعي.

وأمسك «أحمد» بمدفعه الرشاش وأخذ يطلقه نحو الحراس، فتراجعوا إلى الوراء واحتموا في مدخل القاعة، وجاء صوت قائدهم محذرًا لـ «أحمد» و«إلهام»: لا فائدة من المقاومة، لقد أسرنا بقية زملائكما، إن لم تستسلما؛ فسوف نقتلكما.

أطلق «أحمد» دفعة رصاص أخرى، وصاح في «إلهام»: اتبعيني بسرعة.

واندفع يجري نحو باب قريب و«إلهام» خلفه، وما كادا يمرقان منه، حتى أحسا أنَّ الأرض تميد بهما وأنَّهما يسقطان من ارتفاع هائل، بعد أن وطِئا شركًا خداعيًّا.

انفتح باب الزنزانة الضيقة، ودفع الحراس «أحمد» و«إلهام» بداخلها ... وكان هناك خيط رفيع من الدماء يسيل من جبهة «أحمد». أما «إلهام» فكانت تسير وهي تعرج فوق قدمها اليسرى، واندفع بقية الشياطين نحوهما، وسألهما «عثمان» بلهفة: ماذا حدث لكما؟

قصَّت «إلهام» على الباقين كيف تم أسرهما وسقوطهما في أحد الشراك قبل القبض عليهما، وقصَّ بقية الشياطين على «أحمد» و«إلهام» ما جرى لهم.

أحمد: لقد كان شكنا في محله ... لقد أحسست منذ اللحظة الأولى أنهم يريدون اقتناصنا والقبض علينا؛ ولذلك سمحوا لنا بدخول القاعدة بسهولة.

عثمان: ولكن لماذا؟! لقد كان باستطاعتهم قتلنا عند دخولنا المكان.

أحمد: إنهم يريدوننا أحياء ... هذا لا شك فيه ... لعلهم يريدون الحصول منا على بعض المعلومات.

قال «قيس» غاضبًا: إنهم لن يحصلوا منِّي على كلمة واحدة، ولو قتلوني.

أحمد: ليس هذا هو المهم. لقد شاهدناهم يجهزون لإطلاق الصاروخ بالقمر الصناعي، ويجب إيقاف ذلك مهما كان الثمن.

همست «زبيدة» بقلق: تُرى هل اكتشفوا القنابل المغناطيسية التي زرعناها في القاعدة؟

أجاب «أحمد»: هذا ما ستجيب عنه الساعات القادمة.

قال «بو عمير» بقلق: ولكن هل سننتظر إلى أن تنفجر القنابل ... ونحن محبوسون هنا؟

أحمد: إن كان ثمن نجاح مهمتنا هو موتنا ... فلا بأس.

وتلاقت نظرات الشياطين ... كان «أحمد» محقًّا ... فإذا كان ثمن حياتهم هو الأمان لوطنهم العربي؛ فإنهم على استعداد لبذلها عن طيب خاطر.

وفجأة انفتح باب الزنزانة، وظهر عشرة حراس يصوبون مدافعهم الرشاشة نحو الشياطين الستة، وقال قائدهم: اتبعوني ... ولا تحاولوا المقاومة؛ وإلا حصدناكم برصاصنا ... إنَّ الزعيم يريد رؤيتكم. وكانت هذه هي نفس الرسالة التي نقلها «أحمد» لزملائه بعينيه ... ألا يقاوموا، حتى يقابلوا الزعيم، فقد كانت هناك فكرة تدور في ذهنه ويريد التأكد منها.

سار الشياطين في هدوء والمدافع الرشاشة حولهم في ممر ضيق، وانفتح باب في نهايته وظهرت خلفه قاعة عظيمة فخمة، كأنَّها قاعة ملَكِية بأثاثها ورياشها ... وكان هناك مقعد مذهب يجلس فوقه أحد الأشخاص ولا تظهر ملامح وجهه.

وعندما دخل الشياطين إلى القاعة تحدث قائد الحرس قائلًا: لقد قبضنا على المجموعة كلها أيُّها الزعيم.

عندئذ تحرك الرجل الجالس فوق المقعد المذهب ونهض واقفًا ... ولم يكن غير «مارشيللو»!

الموت ... حرقًا!

شهق الشياطين من المفاجأة، أما «أحمد» فقد كانت عيناه تعكس ما توقعه بأن يد «مارشيللو» هي التي كانت تجذب كل الخيوط حولهم ...

صاح «عثمان» بغضب لـ «مارشيللو»: أنت أيُّها الخائن.

تقدم «أحمد» بهدوء نحو «مارشيللو» وقال: ... إنَّه لم يخنَّا ولكنه خدعنا ... كان يجب علينا من البداية أن نكتشف أنَّ «مارشيللو» ليس هو العميل الذي ننتظره ... ومن المؤسف أننا لم نلاحظ أنَّ محاولات أعدائنا لِقَتْلنا خلال الطريق كانت محاولات ساذجة ... أولًا: ذلك الحجر الضخم الذي هوى من فوق رءوسنا في الطريق الجبلي ... وثانيًا: تلك السمكة الملغومة ... ولا بد أن «مارشيللو» عندما عرف برغبتي في الغوص أراد أن يلهو معي قليلًا، فأرسل تلك السمكة بواسطة أعوانه وهو يعلم تمامًا أنني سأصيدها ... وسيبدو الأمر كما لو كان مصادفة أنني هبطت للغوص لحظة هجوم السمكة الملغومة ...

ابتسم «مارشيللو»، وأشعل سيجارًا، وقال: إنني أحب الأشخاص الأذكياء ... وكل ما ذكرته صحيح تمامًا ... كنت أريد أن تصلوا أحياء إلى هنا؛ ولذلك تركتكم ترتقون الجبل وتدخلون هنا بدون أن يهاجمكم رجالي ... ويجب أن تتوقعوا طبعًا أنني استطعت أن أقتنص العميل الحقيقي الذي كان بانتظاركم. وبعد أن قمت بتعذيبه عرفت كلمة السر منه، وكذلك مكان الزورق وكل تفاصيل العملية، وها أنتم ترون أنَّ الأمور كلها سارت كما خططنا لها ... لقد كسبتم أنتم الجولة السابقة ... وكسبنا نحن هذه الجولة كما ترون ...

هتف «قيس» باحتقار: إنَّ الجولة لم تنتهِ أيُّها الماكر ... لا زال هناك بقية.

ابتسم «مارشيللو» ساخرًا وقال: إذا كنت تقصد بقولك إنَّ قنابلكم المغناطيسية ستفعل فعلها قبل الفجر، فأنتم جميعًا مخطئون.

وأشار بيده فدخل بعض العاملين، وهم يحملون القنابل المغناطيسية التي زرعها الشياطين حول الأجهزة في القاعدة ...

ظهر الغضب في عيون الشياطين. وقال «مارشيللو»: هكذا ترون أنَّ الجولة قد انتهت بالفعل لصالحنا ... وفي الحقيقة لم أشأ التخلص منكم قبل أن أجعلكم تشاهدون المكان وتدركوا مدى تقدمنا العلمي وقوتنا الهائلة وتكنولوجيتنا المتقدمة ... إنَّ هناك العديد من الدول العظمى التي تتمنى لو كان لها قاعدة سرية مثل قاعدتنا ... والتي هي على استعداد لدفع البلايين لكشف هذه القاعدة واختراقها ومعرفة أسرارها ... ولذلك يا أصدقائي؛ فإن من يدخل هذه القاعدة لا يخرج منها أبدًا حيًّا ... أو ميتًا ...

وساد صمت في القاعة، ووقف الشياطين صامتين يحسون بغضب مشتعل والحراس يصوبون مدافعهم الرشاشة نحوهم، ولأول مرة يشعرون أنَّهم وقعوا في مصيدة حقيقية انغلق بابها عليهم، بدون أن يكون هناك أمامهم أيَّة فرصة للخروج منها ...

قال «أحمد»: إذن ماذا تنتظر؟ ... لماذا لا تأمر رجالك فيطلقون رصاصهم علينا وينتهي الأمر؟ ...

اتسعت ابتسامة «مارشيللو» وقال: سيكون هذا عملًا عقيمًا ... أنتم الآن ضيوفي لمدة اثنتي عشرة ساعة ... إلى أن ينطلق صاروخنا العظيم حاملًا القمر الصناعي إلى الفضاء، فيسبح فيه إلى الأبد، ويرسل لنا من الصور ما نشاء، ونكشف كل ما يدور فوق أرضكم ... ولا بد أنَّكم مندهشون من تقديم موعد الإطلاق الذي كان مقررًا بعد يومين ... ولكنَّني لا أستطيب صحبتكم يومين كاملين، علاوة على أنَّ الأوامر جاءت بسرعة الإطلاق ... وسرعة التخلص منكم ...

قيس: إذن فسوف تجعلنا نشهد إطلاق الصاروخ، ثم ...

قاطعه «مارشيللو»: لا تخشَ شيئًا ... سوف يكون موتكم بطيئًا هينًا ... دفعة غاز سام ثُمَّ ينتهي الأمر ... ولكن قبل ذلك سنقوم بتصوير كل شيء ... إنَّ الفيديو جهاز ممتع ... وسيكون ممتعًا أكثر لنا عندما نصوركم، وأنتم تتلوَّوْن تحت تأثير الغاز السام قبل أن يقضي عليكم ... ثم نرسل الفيلم إلى رؤسائكم ... مع تحياتنا ...

هتفت «إلهام» بغضب رهيب: أيُّها المجرم السفاح.

قال «مارشيللو» في هدوء: هذه تحية أعتز بها ... فإنكم في بلاد يُكرَّم فيها المجرمون، وتُمنح الأوسمة للسفاحين ... وأعتقد أنَّني أستحق وسامًا بتخلصي منكم ... فإنَّ التخلص من ستة شياطين أمر لم تقدر عليه أكبر العصابات وأقواها حتى الآن ... ولكن لكل شيء نهاية ... ونهايتكم ستكون على يدي ...

بو عمير: إنَّك واهم أيُّها الغبي ... إننا بسبعة أرواح، ولن تستطيع قتلنا أبدًا.

مارشيللو: وكيف ستنجون هذه المرة ... إنَّ المكان محاصر بمائة حارس وأشعه الليزر القاتلة، أنتم في مكان أشبه بقلعه مصفحة ... لقد تركناكم تدخلون بإرادتنا ... أما الخروج فمسألة أخرى ... إنها الجحيم بعينه ...

فجأة قفزت «زبيدة» بسرعة البرق نحو «مارشيللو»، وضربته ضربة هائلة أطاحت به إلى الوراء مترين، وفي الحال دوى صوت الرصاص من مدافع الحراس باتجاه «زبيدة»، ولكنها تدحرجت بسرعة لتحتمي خلف المقعد المُذهَّب، وكانت حركة «زبيدة» إيذانًا للشياطين ببدء المعركة، فاندفعوا نحو الحراس، وقبل أن يتمكن الحراس من الضغط فوق الزناد كانت أيدي وأقدام الشياطين قد أخذت طريقها إلى الحراس في ضربات سريعة ساحقة، وسقط الحراس سريعًا. وتسلح الشياطين بمدافعهم الرشاشة ... واندفعوا نحو مكان ... «مارشيللو» فوق الأرض، ولكنه لم يكن في أيِّ مكان بالقاعة ... وفي نفس اللحظة، انغلقت الأبواب بشدة، ولم يعد هناك أي منفذ للخروج، ومن مكان ما جاء صوت «مارشيللو» في ميكروفون داخل القاعة يقول: أخبرتكم من قبل أنَّه لا أمل وإذا شئتم الموت حالًا فلا مانع لدي ... انظروا إلى الأسقف والحوائط حولكم ستجدون ألف فتحة، يكمن خلف كل منها مدفع رشاش ... وبضغطه واحدة منِّي يمكنني حصدكم بمليون رصاصة. أما إذا أردتم البقاء أحياء لمشاهدة إطلاق الصاروخ؛ فإنني لا زلت على ترحيبي بكم ... وإن كانت تلك الفتاة التي هاجمتني ستنال ترحيبًا خاصًّا ... خاصًّا جدًّا.

صرخ «عثمان» بغضب هادر: أيُّها السافل.

وما كاد يضغط فوق زناد مدفعه الرشاش ليطلقه على الحوائط والجدران، حتى أمسك «أحمد» بذراعه وبلغة العيون قال له: لا فائدة مما ستفعله ... إنَّنا داخل مصيدة رهيبة بالفعل، من الأفضل أن نطيع ذلك الرجل حتى نخرج من هذا المكان ...

ونقل «أحمد» الرسالة إلى بقية الشياطين، فألقوا أسلحتهم فوق الأرض، وجاء صوت «مارشيللو»، يقول: هذا حسن ... والآن فلتسيروا باتجاه اليسار نحو الباب الصغير أمامكم ...

سار الشياطين باتجاه الباب، وانفتح لهم، فظهر عدد من الحراس شاهرين أسلحتهم، فاستسلم لهم الشياطين في صمت ...

وقاد الحراس الشياطينَ إلى زنزانتهم مرة أخرى، وفتح أحد الحراس الباب لهم ودفعهم داخلها، وهنا فقط تنبه الجميع إلى غياب «أحمد».

قال قائد الحراس ذاهلًا: لقد كنتم ستة ... أين ذهب سادسكم؟

وتلفت الشياطين حولهم ذاهلين ... كان «أحمد» قد اختفى بالفعل بدون أن يشعر به أحد، كأنما انشقت الأرض وبلعته ...

وأغلق الحراس الباب على الشياطين الخمسة، وقالت «إلهام» مذهولة: أين ذهب «أحمد»؟ وكيف اختفى بمثل تلك الطريقة؟

عثمان: لا بد أنَّه تمكن من الهرب بطريقة ما ... إنَّ الشياطين لا يستسلمون أبدًا ...

زبيدة: ولكن ماذا بإمكان «أحمد» أن يفعل ... إنَّه وحده لن يستطيع مواجهة مائة حارس، مسلحين داخل قلعة مصفحة ...

بو عمير: وهل كنت تنتظرين منه الاستسلام ... لقد أحسست عندما نقل «أحمد» إلينا رسالته بأن نطيع الحراس ونستسلم لهم، أحسست أنَّه يخطط لشيء ما، وإن لم اهتدِ إلى هذا الشيء ...

وساد الزنزانة صمت عميق، والشياطين الخمسة يفكرون، تُرى كيف اختفى «أحمد»، وما الذي ينوي أن يفعله؟ وهل سينجح وحده في إنقاذ بقية الشياطين ونسف المكان؟ ...

وبدد الصمت حولهم صوت «مارشيللو» الذي جاء عبر الميكروفونات العديدة في المكان، وهو يقول: إلى الأسير الهارب ... إلى الأسير الهارب ... أمامك خمس دقائق لتسليم نفسك؛ وإلا ستتسبب في أبشع ميتة يلاقيها زملاؤك ...

وعاد يكرر النداء، ثم ساد الصمت والسكون ... وتلاقت نظرات الشياطين: تُرى هل سيستسلم «أحمد»؟

ومضت الدقائق الخمس كأنَّها خمس سنوات، وجاء صوت «مارشيللو» يقول: انتهت المهلة، تقرر التعجيل بإطلاق الصاروخ والقمر الصناعي إلى الفضاء الخارجي ... أيُّها الحراس عليكم بتقييد الأسرى الخمسة، ووضعهم أسفل الصاروخ، ولنرَ كم من الوقت يمكن للإنسان أن يتحمل تلك النَّار الجهنمية عند إطلاق الصاروخ ...

وتلاقت نظرات الشياطين الخمسة في ذهول رهيب غير مصدقين ...

التحذير الأخير!

كانت خدعة «أحمد» في الهرب بسيطة، فعندما كانوا يقتربون من الزنزانة الضيقة التي سيحبسهم الحراس فيها، شاهد فوق الأرض مربعًا أشبه بالشرك الذي سقط فيه مع «إلهام» عند القبض عليهما وبخفة تأخر للوراء مع حارسه وهو يتظاهر بالعرج، وعندما مر فوق الشرك ضغط بقدمه على حافته فسقط داخله مع حارسه، وعادت الأرض إلى شكلها السابق بدون أن يلاحظ بقية الحراس ما حدث ... وكانت سقطة «أحمد» سهلة هذه المرة؛ لأنَّه كان يتوقعها، أما الحارس فاصطدمت رأسه بالأرض وفقد وعيه ... وبسرعة ارتدى «أحمد» ملابس الحارس واستولى على سلاحه، وغادر السرداب الذي تؤدي إليه الشراك الخداعية ... وفي دقائق كان يصعد إلى قلب القاعدة بدون أن يلاحظه أحد ...

وعندما استمع إلى تحذير «مارشيللو» أصابه شيء من القلق على مصير الشياطين، ولكنَّه لم يضعف، كان هو الأمل الوحيد في إنقاذهم، وكان عليه أن يحاول إتمام المهمة التي جاءوا من أجلها بأيِّ وسيلة ثم إنقاذ الشياطين ...

لم يكن لدى «أحمد» خطة محددة، وكان من الغباء أن يحاول اقتحام المكان ومحاولة إطلاق سراح زملائه أو تفجير المكان ... فمهما كانت شجاعته وقوته، فسوف يتغلب عليه الحراس بسرعة.

وكان يعلم أنَّ كل دقيقة تمر ليست في صالحه، وعليه التصرف بأسرع ما يمكن قبل أن تنقضي الساعتان. وأخيرًا اهتدى «أحمد» إلى الفكرة الوحيدة الممكنة في ذلك المكان الرهيب ... وكان يلزمه وجود الحظ بجانبه لتنفيذها ...

وكان «أحمد» يعلم تمام العلم أنَّ الحظ سيكون حليفه تمامًا، فهو لم يتخلَّ مرة عن الشياطين حتى في أحلك الأوقات ...

وأسرع «أحمد» يغادر المكان صاعدًا إلى سطح الجبل مع بعض الحراس، عند تغيير نوبتهم للحراسة، فقد كانت خطته التي وضعها للتنفيذ ... تبدأ من أعلى ...

اتجه طابور الحراسة ليأخذ مكانه حول المكان، وفي خفة انسلَّ «أحمد» من وسطهم مبتعدًا ... كان هناك حوله عدد من المباني الحجرية تزيد عن العشرة، وكانت كلها مضاءة يشغلها بعض العاملين، وكان «أحمد» يريد أن يبحث في أحدها عن شيء معين؛ إذ لم يكن هناك مفر من محاولة الوصول إليه بنفسه.

واقترب متسللًا مستترًا بالظلام من أقرب المباني ... ولكنه كان لا يحتوي إلا على بعض المكاتب الإدارية ... أما المبنى الثاني فكان يحتوي على بعض المعدات والأدوات المهملة ... والثالث كان يضم بعض الأسلحة ... ونظر «أحمد» في ساعته ... لم يعد متبقيًا على الإطلاق غير ساعة، وسمع أحد الحراس القريبين، وهو يقول لزميله: لقد بدأ العد التنازلي، سوف يخلون المكان هنا خلال نصف ساعة لإطلاق الصاروخ ...

وهكذا لم يعد أمام «أحمد» غير عشر دقائق للعثور على ما يبحث عنه، فانطلق في سرعة محمومة يواصل بحثه ...

قاد الحراس الشياطين الخمسة مقيدي الأيدي نحو قاعدة الإطلاق ... كان العد التنازلي قد بدأ من الرقم ألف ... وكان كل شيء مهيَّأً للإطلاق العاجل ...

ودفع الحراس الشياطين نحو القاعدة الخرسانية التي ينتصب فوقها الصاروخ. وبغضب، صوَّب «عثمان» ضربة قوية نحو أقرب الحراس، فسقط الحارس على الأرض، واندفع زميله وضرب «عثمان» بمؤخرة مدفعه الرشاش، فدارت الدنيا بـ «عثمان» وسقط على الأرض ...

وصوَّب الحراس مدافعهم للشياطين قائلين: أيَّة محاولة أخرى ستعجل بموتكم ...

وقاموا بإلقاء الشياطين أسفل الصاروخ، وتم تقييدهم في القاعدة الخرسانية؛ حتى لا يتمكنوا من الهرب. وأفاق «عثمان» فتطلع إليه الشياطين في لهفة، فابتسم لهم وقال بعينيه: لا تخشوا شيئًا ... إن أواني لم يحِنْ بعد ...

وقالت «إلهام» بعينيها في قلق بالغ: هل سيطلقون الصاروخ حتمًا ونحن تحته؟ ... سوف نحترق كما لو كنا كومة قش ...

أغمضت «زبيدة» عينيها لهول ما تخيلَتْ، وقال «قيس» يطمئنهم: لا تخشوا شيئًا ... إنَّ وجود «أحمد» حرًّا طليقًا يعني أنَّه لا يزال لدينا أمل ...

بو عمير: ولكن أين هو؟ ... ولماذا لم يظهر أو يحاول إنقاذنا حتى الآن؟ ...

ولم يكن لدي أحد منهم إجابة فصمتوا حائرين، ومدافع الحراس مصوبة إليهم بالرغم من قيودهم ... وكان العد التنازلي قد وصل إلى الرقم مائتين، ولم يعد باقيًا على الإطلاق أكثر من ربع ساعة، وأغمضت «إلهام» عينيها يأسًا ... لم يكن هناك أيُّ أمل ...

وفجأة شق السكون حولهم صوت يقول: تحذير ... تحذير ... أمام الجميع عشر دقائق على مغادرة المكان ... غادروا المكان بأقصى سرعة ... البركان في قلب الجبل يوشك على الانفجار ... غادروا المكان بأقصى سرعة ...

ما إن سمع الحراس حول الشياطين التحذير الآلي، حتى ظهر الرعب في عيونهم، وصرخوا في هلع وألقوا بأسلحتهم واندفعوا هاربين ... وبدأ المكان يهتز بقوة كأنه سينفجر ...

وتطلع الشياطين لبعضهم ذاهلين، وقالت عينا «عثمان» في سخرية: لم يكن ينقصنا إلا هذا.

زبيدة: وهل سيتركوننا هنا نواجه الزلزال والبركان؟

إلهام: وهل تظنين أنهم سيتكرمون بإطلاق سراحنا ... لا شك أن الجميع يسرع بالفرار بأقصى سرعة.

وبالفعل ازدادت الصرخات حول الشياطين ... واندفع العلماء والفنيون والحراس في هلَع يَجْرون ليغادروا المكان ...

وترقرقت عينا «إلهام» بالدموع، لم تكن تخشى ما سوف يصيبها، ولكنها تذكرت «أحمد»، تساءلت في حزن أين هو؟ وماذا حدث له؟

كان اختفاء «أحمد» على تلك الصورة، وعدم ظهوره حتى تلك اللحظة لا يعني إلا شيئًا واحدًا ...

إنَّه ... وفجأة ظهر الشيطان الوسيم أمامهم ... حيًّا لم يمسَّه ضرر ...

وصرخت عيون الشياطين بصوت واحد: «أحمد»؟

وأسرع «أحمد» نحو رفاقه وحلَّ قيودهم، واحتضنه الشياطين غير مصدقين، وسألته «إلهام» ذاهلة: ماذا حدث يا «أحمد»؟

أجابها في سرعة: لا وقت للشرح ... هيا بنا قبل أن ينطلق الصاروخ.

قال «عثمان» ذاهلًا: لقد نسوا أن يفتحوا سطح الجبل لينطلق منه الصاروخ ... سوف يصطدم بسطح الجبل من الداخل وينفجر ويتحول المكان إلى جهنم.

أحمد: هذا أفضل ... دعونا نغادر المكان بسرعة.

قال «قيس»: وأين سنهرب ... إننا حتى لن نتمكن من الوصول إلى السطح. لم يعد باقيًا على إطلاق الصاروخ غير خمس دقائق ...

أحمد: هناك وسيلة واحدة للنجاة من هذا المكان ... اتبعوني.

واندفع الشياطين خارجين إلى سطح الجبل، وكان جميع الحراس والعاملين قد اندفعوا يهبطون الجبل في سرعة جنونية ... واندفع «أحمد» إلى طرف الجبل، فأسرع بقية الشياطين خلفه دون أن يسألوه، وفجأة انكشفت لهم طائرة هليوكوبتر تستعد للإقلاع وبداخلها «مارشيللو». وقفز «أحمد» ... نحو الطائرة وتعلق بها لحظة أن ارتفعت في الهواء ... وراقب الشياطين «أحمد» وهو يجاهد لفتح باب الطائرة، وإلقاء «مارشيللو» منها، على حين أخذ «مارشيللو» يدفعه بقوة إلى الخارج.

وراقبت «إلهام» عقارب ساعتها ... لم يعد باقيًا على انطلاق الصاروخ وانفجار المكان غير دقيقة واحدة ... هذا إذا لم ينفجر البركان قبلها ...

وأخيرًا ... تمكن «أحمد» من «مارشيللو»، وجذبه من قدمه فألقاه خارج الطائرة، وتهاوى «مارشيللو» صارخًا فوق الجبال وارتطم به، وسكنت حركته في الحال، وقفز «أحمد» داخل الطائرة المحلقة حاليًّا ...

وكانت الثواني تتناقص بسرعة رهيبة عشرة ... تسعة ... ثمانية.

وبأسفل سمعوا هدير محركات الصاروخ وهي تشتعل. اقترب «أحمد» بالهليوكوبتر في سباق مع الزمن ... سبعة ... ستة ... خمسة ... وحلق «أحمد» فوق الشياطين ... وعقرب الثواني يقفز في جنون ... أربعة ... ثلاثة ... اثنين ... وفي الثانية الأخيرة تعلق الشياطين بأقدام الطائرة الهليوكوبتر، وارتفعت بهم بأقصى سرعتها. وفي اللحظة التالية انفجرت القاعدة في قمة الجبل عندما انطلق الصاروخ واصطدم بالحائط فوقه، واندلع لهب رهيب من جوف الجبل، وتناثرت القاعدة إلى شظايا سقطت على الحراس والعلماء الهاربين فقضت عليهم ...

واستقر الشياطين في مقاعدهم بالطائرة الهليوكوبتر وهم يراقبون اللهب المندفع من قمة الجبل وقال «عثمان» متنهدًا: لقد نجونا في اللحظة الأخيرة.

قال «قيس» بسرور: لقد نجحت مهمتنا أيضًا ... الحمد لله.

زبيدة: لولا ذلك التحذير المفاجئ بانفجار البركان، وهروب الحراس لما استطعنا النجاة.

بو عمير: ولكن من العجيب أنَّ البركان لم ينفجر حتى تلك اللحظة.

ابتسم «أحمد» وقال: ولن ينفجر أبدًا ... لقد كان تحذيرًا كاذبًا ...

هتف الشياطين الخمسة بصوتٍ واحد: ماذا؟

أحمد: لم يكن أمامي وسيلة غير ذلك لإنقاذكم ... فبحثت عن المبنى الخاص برصد البراكين فوق سطح الجبل وجعلته يطلق تحذيرًا كاذبًا بانفجار البركان في قلب الجبل مع بعض المؤثرات الصوتية، كأنَّ البركان يوشك على الانفجار فعلًا؛ ولذلك سارع الجميع بالهرب وتمت مهمتنا بنجاح ففي بعض الأحيان تعجز القوة عن النصر، ولكن الحيلة لا تعجز أبدًا ...

نظر بقية الشياطين نحو «أحمد» في إعجاب شديد، وانطلقت الهليوكوبتر باتجاه الشمال، بعيدًا عن أرض النَّار ... وبراكينها وجنونها ...

هنـــداوي